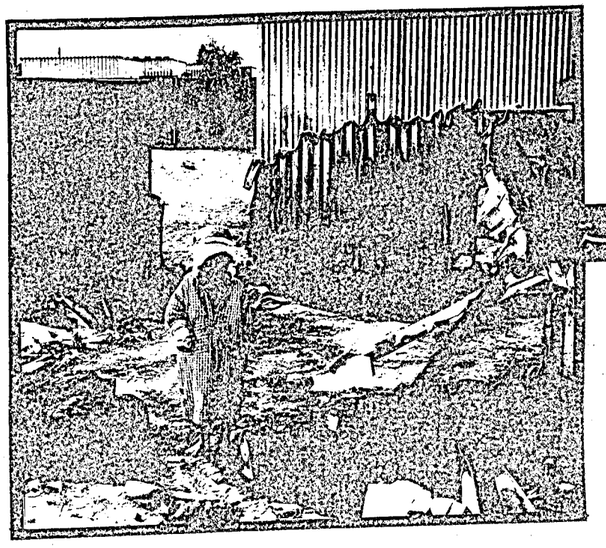

عرفت اخيرًا ماهو الفرق

••• لست احدثك من عمان فقد تركتها قبل ان يجتث الملك الاشجار التي تحمل الاوراق •••

كلما تذكرت (بدو) تذكرتك ، يوم كنا نقتلع اقدامنا من (قلندية) بعد العصر ، نهرول في الوادي الطويل ، عبر الكروم المتزاحمة على عتبات الجبال ، المختلطة اوراقها وعنبها مع ظلال اشجار التين القادمة من قصر السماء ، هل تذكر ؟ حين كنا نقف على أعلى اسطحه (بدو) تسألني ما أسم الافق الذي نراه ، على اقصى حدوده بحر كبير ، وهجه ابيض من البعد ، لم اكن اجيبك ، لانني لم اكن اعرف ••

كنا من فلسطين ، انت لاجيء ، وانا لست لاجئا ، أنا ما زلت في قريتي التي ولدت بها ، كانت قريتك في نقطة ما من الافق ، كنا في (قلندية) ، اعانتنا من جهة واحدة ، لم اكن افهم الفرق ، « كنت تقول لي دائما ان الفرق بسيط ، انت فلسطين ـ اردني ، وانا فلسطيني ـ سوري » لم أكن افهم الفرق ،

حين اصبحت يوما ، بطاقتي تبدل لونها ، اصبحت اردني ـ اردني ، فهمت بعض الفرق ، فهمت ان الشريط الذي حدد الخارطة الجديدة ، كان شيئا ، كي لا نفهمه ونعرفه ، كنا في مدرسة واحدة ، اعانتنا ، انني ارى (بدو) كل يوم ، اراها من الشاطيء ، من حدود الافق الاخر ، وحولي الخيام •• اراها تتصارع مع الشمس والغيوم في سماء الخريف •• البحر امامي ، كبير كبير ، وهجه احمر من القرب •• بعد ان تخرجنا من (قلندية) ، نحمل شهادات كبيرة ، في ذيلها ختم دولة رصيدها من العلم والاخلاق عمله ذهبية نادرة •• رغم ذلك لم اجد عملا ••• في سوريا وجدت عملا ••• لم أستطيع زيارتك كنت اخاف ان تسألني عن اسم الافق •• عن الفرق •• لم اكن اعرف بعد •• وانا في سوريا ، حدد حزيران الخريطة التي ابتلعت (بدو) في داخلها ، سمعت ان عائلتي بقيت هناك ، عمتي قالت لي ، عندما زرتها في عمان هي واولادها ، اخبرتني ان والدي رفض ترك بدو ، أما هي فقد هربت •• كان عليها ان تحمي اولادها ، لم يبتعد بها الهروب ، التصقت بعمان مخيم الوحدات •• وكنت ازورها دائما ••

انت تعرف الطريق الجديد الى بدو لكي ازور اهلي يجب ان اسلك الطريق الجديد ، لم اكن اعرف كيف احارب ، لكي ازور اهلي فقط اصبحت فدائيا ••

والدي ما زال هناك ، الكروم هي التي تغيرت ، ظلال التين لم يعد قادما من فوق ، لقد التصق بالارض ، لم يعد هناك طريق ، بقي والدي ، بقي اعلى الاسطحة •• فقط ، فقط •• بدأت اعرف الفرق ، كنت دائما اعود الى عمتي بحكايا من والدي ، لم يكن يطلب مني ابدا ان اقول لها شيئا ، كنت اقول لها انا •• دائما ،

كل زيارة كان يختلف شيء جديد ، في اخر مرة احسست ان والدي يريد شيئا ، رجوته ان يسألني لم يفعل ، قال انه سيفتح الطريق الى الكرم الغربي ، قال انه كل عمره يعرف الطريق القديم الذي اغلق ••• لانه اغلق لم يعد يستطيع زيارة الكرم •• لكي يستطيع يجب ان يكسر (مجرى المياه الجديدة التي تسوق الماء الى بطن الجبل الغربي) ،

جاء يوم لم اقل لعمتي حكايا والدي ، لم اقل لها انني لم اره ، انه مات ، لم ار أعلى اسطحة بدو ، يوم لم اقل لها ، عرفت الفرق الذي كنت تعرفه ، يومها ، عرفت انني لم اعد فدائيا لازور اهلي فقط ••

لقد كان والدي يقول دائما ، لكل من يراه ، ان الطريق الى بدو يجب ان تكون من القدس ، يجب ان تمر من القدس اولا ثم بدو •••

قبل ايلول بقليل ، دخلت عمان لازور عمتي واولادها ، كان الافق غير الافق ، في الجو رائحة لم أشمها من قبل ، الدخان كان قاتما اكثر من كل مرة ، قادوني يومها من بوابة عمان الى غرفة مطموسة تحت الارض ، قابلت فيها ضابطا رقيقا ، عندما اخبرته عن نفسي ابتسم بوداعة •• وبحركات مسرحية قال :

ـ يا بني ، الا تعتقد ان كلمة هناك ـ واشار بيده الى الغرب ـ خير من الف قنبلة تسقط من الخارج الا تعتقد ان المقاتل يجب ان يعيش في الساحة ، في بطن الساحة ،

كان الضابط يقطر رقة وانسانية ووطنية ، ولكي يثبت لي صحة نظرياته الفريدة ، دفعني مع اخرين في سيارة ، عندما غادرناها ، وجدنا اننا على حدود سوريا ••

لم استطع بعدها ان ازور عمتي ، سمعت من اخرين هربوا الى الشرق ، ان عمتي واولادها ماتوا ، قتلوا في قلب بيتهم ، في قلب مخيم الوحدات ، لم اكن في عمان يوم اجتث الملك الاشجار التي تحمل الاوراق ، قالوا لي ان الضابط الرقيق كان أول الداخلين مخيم الوحدات ، قالوا لي انه عندما رأى صورتي على الجدار المحطم ، بجانب اشلاء عمتي واولادها ، ابتسم ، هز رأسه على كتفيه ، ثم اندفع يضحك مجنونا •••

أريد اليوم ان اعود الى عمان ، اقول للضابط الرقيق انني سأبقى في عمان لان كلمة فيها خير من الف قنبلة تسقط من الخارج ، لانها ساحتي ، بطن الساحة ••

احدثك من شاطيء البحر ، شيئا اريد ان اقوله لك ، انت لا تعرفه ، شيء فقط انت لا تعرفه ،

ان الطريق الي بدو يجب ان تمر اولا بعمان فالقدس ، يجب ان تمر على عمان ثم القدس ، ثم تصل الى بدو ، من الطريق القديم ، عبر الكروم المتزاحمة على عقبات الجبال ، المختلطة اوراقها وعنبها مع ظلال اشجار التين القادمة من قصر السماء •••

■■

صدر مجلد الهدف
السنة السادسة

تجليد ممتاز
كمية محدودة

تطلب من ادارة
الهدف
صندوق البريد : ٢١٢

ل.ل ٣٥
بالاضافة لأجور البريد